كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

Journal of College of Sharia & Islamic Studies

نصف سنوية – علمية محكمة

Academic Refereed – Semi-Annual

ISSN 5545 – 2305

المجلد ٣٣- العدد ٢ – خريف ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥ -٢٠١٦ م

Vol. 33- No.2, 2015-2016 A / 1437 H

الخيانة في السياق القرآني دلالاتها ونظائرها : دراسة موضوعية مقاصدية

تأليف

د. ثابت أحمد أبو الحاج

الباحث. محمد أحمد عطاية

د. مصطفى بن عبدالله

قسم القرآن والحديث – أكاديمية الدراسات القرآنية

بجامعة ملايا – كوالالمبور – ماليزيا

الملخص:

تناول الباحثون في هذه الدراسة التعريف بمصطلح الخيانة في اللغة والاصطلاح، وتحديد ورودها ومشتقاتها في الآيات القرآنية، ثم استنباط أنواع الخيانة من خلال المعنى الذي أداه استخدامها في السياق القرآني، كخيانة الدين بالكفر، وخيانة الأمة، وخيانة النفس والجوارح، وخيانة العهد، وخيانة أمانات الناس، وخيانة العِرض، ثم استقصاء ما ورد من مفاهيم قرآنية تشارك هذه اللفظة في معناها واستخدامها، وهي ما نسميه "النظائر" وهي: المكر والخديعة والكيد والتجسس والنفاق، وأخيرا استعرض الباحثون نماذج الخيانة الواردة في القرآن الكريم مبينين بالاستعانة بما ذكره أهل التفسير الدلالات والدروس والعبر منها، وبيان مقاصد القرآن الكريم من ذكرها، وقد هدف البحث إلى التعريف بأفعال الخائنين وصفاتهم، والتنبيه عل خطرهم، وأخذ الدروس والعبر من مصائرهم.

الكلمات المفتاحية : الخيانة، المكر، الخديعة، الكيد، التجسس، النفاق.

Betrayal and its Conceptions in the Quranic Context:
An Objective and Analytical Study

Abstract

The researchers outlines two definition of betrayal both in language and idiomatically and mention its places and its derivatives in the Holy Qur'an. Then, the researcher will extrapolate the types of betrayal through the meaning of the verses such as: the betrayal of religion (to be unbeliever), betrayal of nation (Ummah), betrayal of soul and bodies, betrayal of covenant and betrayal of trust of people. After that, the researchers will follow the derivatives of the norm "betrayal" in the Holy Qur'an such as: cunning, deception, espionage, hypocrisy and plan, Finally, the researcher views the samples of betrayal as they were mentioned in the Holy Qur'an with reference to interpreters in order to take the lessons such as: the betrayal of people of Scripture, This research aims to define the norm "betrayal" in its wide-concept as it mentioned in the Holy Qur'an, and to indicate the types of betrayal and also to explain the acts of betrayers and their characters and finally to take the lessons of their end and fate.

Key word: betrayal, cunning, deception, espionage, hypocrisy and plan.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، ومنَّ علينا بالهدى والإيمان، وأمرنا بالإخلاص للواحد الديان، والصلاة والسلام على المصطفى العدنان، الذي طبَّق فينا شريعة القرآن، وجاهد في الله حتى أظهر الحق وأبان، وأماط اللثام عن كل ماكر خوَّان، قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}[1]، وعلى آله وصحبه خير الأنام، وكل السائرين على درب الهدى إلى آخر الزمان، وبعد...

فإن من سنة الله سبحانه وتعالى أن أرسل الرسل لهذه البشرية تترى على مر العصور والأزمان، وأنزل معهم الهدى والفرقان، والمعجزات البينات العظام، فمن الناس من اتبع الهدى وسار مع ركب الإيمان بإخلاص وإحسان، ومنهم من عاند الحق وعادى أهله وتنكب سواء الصراط، ومنهم من اتخذ سبيلا ثالثا؛ فلا هو آمن وأخلص واستقام، ولا هو جاهر بالكفر وأظهر العدوان، بل استخفى خلف ستائر الظلام؛ ليحيق المكر السيئ بأهل الإسلام، فمكر وكاد ونافق وخادع وخان.

ولذلك حذرنا القرآن الكريم من هذا الصنف من الناس أشد تحذير، وقد عرفنا الله تعالى بهم، وذكر أصنافهم وفئاتهم، وعرض لنا أمثلة حية منهم، وبيّن عقابهم في الدنيا والآخرة، وأعطانا العلاج الشافي لهذا الداء العياء، الذي سماه الله تعالى في كتابه العزيز بأسماء كثيرة تتكامل في معناها لتؤدي مؤدىً واحداً، يكمن في إلحاق الأذى بالمسلمين من حيث لم يحتسبوا، فسماه (الخيانة، والمكر، والخديعة، والتجسس، والنفاق، والكيد).

[1] سورة الأنفال، آية ٢٧

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن اسباب اختيارنا الكتابة في هذا الموضوع فيما يأتي:

١. استشعار مدى خطورة هذا الأمر وأهميته لكل زمان، وبخاصة في مثل هذا الزمان العجيب الذي نعيش فيه، والذي اختلطت فيه الأمور على كثير من أبناء المسلمين، فلم يعودوا يميزون بين الغث والسمين، وبين الخيانة والأمانة، فهو الزمان الذي يؤتمن فيه الخائن ويخوّن فيه الأمين.

٢. الواقع الاجتماعي الفاسد من جوانب عديدة، والذي تمارس فيه الخيانة بأشكالها المختلفة، مثل: (خيانة الدين، وخيانة العرض، وخيانة النفس،وغير ذلك).

٣. الواقع السياسي؛لتلبية ضرورة ملحة في بيان وكشف مكائد ومؤامرات الخائنين والمتآمرين على أمة الإسلام ومستقبل هذا الدين.

٤. عدم وجود دراسة مختصة تعالج هذا الموضوع بطريقة التفسير الموضوعي.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في المفهوم الضيق للخيانة عند الكثير من الناس، وتمحوره حول معنى جحود أمانات الناس، وخيانة رباط الزوجية، ولا يكاد هذا المفهوم بعموميته، وكيفية استخدام القرآن الكريم له، والأهمية العظيمة التي أولاها كتاب الله تعالى له معروفة جلية لأكثر الناس.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الخيانة؟

٢- هل خيانة الأمانة تقتصر على المفهوم المتبادر منها، وهو جحود أمانات الناس؟

٣- ما هي أنواع الخيانة التي ذكرها القرآن الكريم؟

٤- ما هي مقاصد القرآن من عرضه لنماذج عملية للخيانة؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- الاطلاع على ما جاء في كتاب الله تعالى حول ظاهرة الخيانة.

٢- بيان المعنى العام لمفهوم الخيانة من خلال الاستخدام القرآني لهذا المفهوم.

٣- توضيح أنواع الخيانة من خلال آيات القرآن الكريم.

٤- زيادة الوعي بعظيم خطر هذه الظاهرة بكل أشكالها وأخذ الدروس والعبر من خلال ما عرضه القرآن الكريم من نماذج للخيانة.

منهجية البحث:

استخدم الباحثون في هذه الدراسة المنهج الموضوعي والتحليلي، وذلك من خلال تتبُّع الآيات القرآنية ذات الصلة بمصطلح الخيانة ونظائره، وهي: المكر، والخديعة، والتجسس، والكيد، والنفاق، واستقراء المشاهد والأمثلة القرآنية المتعلقة بالخيانة، ودراسة أقوال أهل التفسير في الآيات موضوع الدراسة، ونقل ما يتناسب منها مع موضوعات وعناوين البحث.

الدراسات السابقة:

إن مادة هذه الدراسة مثل كل الدراسات القرآنية جاءت من خلال آيات القرآن الكريم، حيث عرض القرآن الكريم موضوع الخيانة ونظائر هذه اللفظة في آيات كثيرة، جَهَدَتْ كتب التفسير في شرحها وبيان معانيها، كما ذكرت السنة والسيرة كذلك شواهد عليها، ولقد تقصّينا ما كتب في الموضوع بشكل مستقل، فلم نجد أحداً كتب عن الخيانة ونظائرها ومقاصدها في القرآن الكريم كدراسة موضوعية، مع الربط بالواقع الذي نعيش.

خطة البحث:

اشتملت الدراسة على مقدمة،وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، ومنهجية البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: التعريف بمفهوم الخيانة لغةً واصطلاحاً ومادتها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أنواع الخيانة في السياق القرآني.

المبحث الثالث: نظائر الخيانة في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: مقاصد القرآن الكريم من ذكر نماذج الخيانة.

الخاتمة: وفيها ملخص البحث وأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول :التعريف بمفهوم الخيانة لغةً واصطلاحاً ومادتها في القرآن الكريم

المطلب الأول: الخيانة في اللغة:

التقت معاجم اللغة على أن أصل الخَوْن: النقص، وقد ورد بمعانٍ متقاربة مع هذا المعنى، كالضَّعف، والانقطاع، وغيرهما، ومما ورد في معاجم اللغة في المعنى اللغوي للفظة (الخيانة) ما يأتي:

* الضعف، "الخون: الضعف، يقال: في ظهره خَوْن: أي ضعف، وهو مجاز"[(١)]، ويقال: خانته رِجلاه: إذا لم يقدر على المشي، وخانه سيفه: نبا، وخانه الدهر: غيَّر حاله من اللين إلى الشدة[(٢)]، ويشهد له قول الأعشى ت٧هـ: وخان النعيم أبا مالك وأيُّ امرئٍ لم يخنْه الزمن [(٣)]

* الانقطاع، " يقال: خان الدلو الرشاء: إذا انقطع"[(٤)].

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت٥٣٨هـ، **أساس البلاغة**، دار الفكر – بيروت،(طبعة سنة ١٣٩٩هـ)، (ص١٧٨).

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص١٧٨). ابن منظور، محمد بن أبي العز مكرم بن علي، ت٧١١هـ، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، (ط١/بدون سنة نشر)، (١٤٤/١٣).

(٣) الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، ت ٧هـ ، **ديوان الأعشى**، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٣٤/١).

(٤) الزمخشري، **أساس البلاغة**، (ص١٧٨).

* النقص،" معنى الخون: النقص؛ كما أن معنى الوفاء: التمام، ومنه: تخونه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء؛ لأنك إذا خنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه"[(١)]، يقول الزبيدي ت١٣٠١هـ:" أصل الخَوْن: النقص؛ لأن الخائن ينقص المخون شيئا مما خانه فيه"[(٢)].

المطلب الثاني: الخيانة في الاصطلاح:

للخيانة معان متعددة باعتبار ما نسبت إليه، وكلها تدل على الانتقاص، والغدر، وإضمار الأذى سراً بالمخون، فالخيانة:" التفريط في الأمانة"[(٣)]، وهذا يشمل كل أمانة؛ ومن هذا قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً }[(٤)]. ومن الأمانات، أمانة الأمة والعِرض والعهد والنفس وأمانات الناس، وخيانة ذلك خيانة للأمانة.

المطلب الثالث: ورود لفظ الخيانة ومشتقاتها في الآيات القرآنية:.

وردت مادة " خ و ن " ومشتقاتها في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، وذلك في ثماني سور من سور القرآن الكريم، بألفاظ مختلفة، بيان ذلك في الجدول الآتي:

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت٥٣٨هـ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،(بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٠٢/٢).

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، ت١٣٠١هـ ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، (بدون طبعة ولا بلد ولا سنة النشر)، (٤٩٩/٣٤).

(٣) المناوي، محمد عبد الرؤوف، ت١٠٣١هـ، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت، (ط١/١٤١٠هـ)، (ص٣٢٩).

(٤) سورة الأحزاب، آية ٧٢

الرقم	اسم السورة	مكية أو مدنية	رقم الآية	اللفظة
١	البقرة	مدنية	١٨٧	تَخۡتَانُونَ
٢	النساء	مدنية	١٠٥ ١٠٧	لِّلۡخَآئِنِينَ تَخۡتَانُون / خَوَّانًا
٣	المائدة	مدنية	١٣	خَآئِنَةٍ
٤	الأنفال	مدنية	٢٧ ٥٨ ٧١	تَخُونُواْ / وَتَخُونُوٓا خِيَانَة / ٱلۡخَآئِنِين خِيَانَتَكَ / خَانُوا
٥	يوسف	مكية	٥٢	أَخُنۡه / ٱلۡخَآئِنِين
٦	الحج	مدنية ، على خلاف	٣٨	خَوَّانٍ
٧	غافر	مكية	١٩	خَآئِنَة
٨	التحريم	مدنية	١٠	فَخَانَتَاهُمَا

ومن الجدير بالملاحظة أن جميع السور المذكورة، والتي وردت فيها مادة(خ و ن)، سور مدنية، باستثناء سورتي: يوسف وغافر[1]؛ وذلك لأن ظاهرة الخيانة والنفاق لم تكن قد نشأت إلا

(١) اختلف العلماء في سورة الحج كونها مكية أو مدنية، وذكر صاحب البرهان أنها مدنية إلا أربع آيات، انظر : الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، ت٧٩٤ هـ، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت،(ط سنة ١٣٩١ هـ)، (٢٠٢/١). الصالح، صبحي، ت١٤٠٦هـ، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين – بيروت،(ط١٧/١٩٨٨م)، (ص١٨٢).

في جو المدينة، ولم يكن للكيد والمكر بالمسلمين ما يدعو إليه إلا عندما أصبح للمسلمين دولة وقوة وهيبة، فكان عندها التآمر، والخيانة والدس؛ لأجل هدم بنيان هذا المجتمع، وتقويض أسسه، أما ما كان من العداء للمسلمين في العهد المكي فقد كان جهرة دون الخشية من أحد.

المبحث الثاني :أنواع الخيانة في السياق القرآني

جاءت ألفاظ الخيانة المذكورة في المبحث السابق تحمل وجوهاً متقاربةً في سياقاتها، يجمعها ما سبق بيانه من المعنى الذي تضمّنه مصطلح الخيانة في اللغة والاصطلاح، وقد جاء استخدامها في سياقاتها القرآنية لتعبر عن أنواعٍ شتى من الخيانة، وبيان ذلك فيما يأتي:

المطلب الأول: خيانة الدين بالكفر:

والمقصود بخيانة الدين: الخروج عن التكاليف الشرعية التي افترضها الله تعالى على عباده إما بالكفر أو بالمعصية، ومن هنا فإن خيانة الدين قد تكون بالكفر بعدم الإيمان أو تعطيل حكم الله تعالى، أو تكون بالمعصية كخيانة النفس والجوارح، وخيانة العِرض بالزنا والقذف، وخيانة العهد بنقضه، وخيانة أمانات الناس بجحودها أو الانتقاص منها.(١)

وفي عموم خيانة الدين ما جاء في قوله تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً }(٢).

والمقصود بهذه الأمانة أمانة التكاليف التي كلفها الله الناس من خلال الرسل، وما يترتب على ذلك من تطبيقها، وتبليغها للناس، فهي الأمانة الكبرى(٣)، وقد" انقسم الناس بحسب قيامهم بها

---

(١) انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط١/١٤٠٤هـ)، (ص٢٨١).

(٢) سورة الأحزاب، آية ٧٢

(٣) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة ١٤٠٥هـ)، (٥٤/٢٢). الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس المعروف بابن أبي حاتم، ت ٣٢٧هـ، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٣١٥٩/١٠).

وعدمه إلى ثلاثة أقسام: منافقون قاموا بها ظاهرا لا باطنا، ومشركون تركوها ظاهرا وباطنا، ومؤمنون قائمون بها ظاهرا وباطنا"[(١)]. وبما أن الإنسان قد حمل هذه الأمانة العظيمة، كان لا بد له من أدائها على الوجه الذي أمر الله تعالى، وإلا كان خائنا لها، فمخالفة التكاليف الشرعية خيانة؛ ولذلك فالكفر خيانة للدين؛ قال تعالى: { وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ }[(٢)]، أي كفروا به[(٣)].

وكذلك ما ذكره الله تعالى من خيانة امرأتي النبيين نوح ولوط عليها السلام في قوله تعالى: { ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ }[(٤)]، أي خانتاهما في الدين بأن كفرتا[(٥)].

المطلب الثاني: خيانة الأمة:

المقصود بخيانة الأمة والوطن: التآمر على مقدرات المسلمين ومصالحهم وأرضهم ومقدساتهم، والتلاعب بأمنهم وأرواحهم واقتصادهم وأرزاقهم، وتقديم المساعدة للأعداء؛ للإضرار

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة – بيروت، (طبعة سنة ١٤٢١هـ)، (ص٦٧٣- ٦٧٤).

(٢) سورة الأنفال، آية ٧١

(٣) انظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ت٤٦٨هـ، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، (ط١/١٤١٥هـ)، (٤٤٩/١). البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، ت٥١٦هـ، **معالم التنزيل في التفسير**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٦٣/٢). الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت ١٢٥٠هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٣٢٩/٢).

(٤) سورة التحريم، آية ١٠

(٥) انظر: السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت ٤٨٧هـ، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغيره، دار الوطن – الرياض، (ط١/ ١٤١٨هـ)، (٤٧٨/٥). القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت ٦٣١هـ، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب – القاهرة، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٠٢/١٨).

بالمسلمين، من خلال التخابر معهم، وتقديم المعلومات لهم؛ لاستغلالها ضد المسلمين، فكل ذلك خيانةٌ للأمة.

كما أن قيام المسؤولين– الذين انتدبتهم الأمة– بمخالفة أمانة الأمة الملقاة على عاتقهم، والتي على رأسها تحكيم شرع الله في الأمة، في كل نواحي الحياة، ومجاهدة أعداء الله، ونشر دين الله في ربوع العالمين، والمحافظة على دماء المسلمين، وصيانة أعراضهم، وحفظ أرضهم ومقدساتهم؛ وذلك بالتفريط فيما سبق، هو خيانةٌ للأمة، وهو واقع في النهي الوارد في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }[1]، ولا شك في أن من أعظم الأمانات أمانة الأمة، وأرضها، ومقدساتها، وخيانتها لا شك كذلك في أنه من أعظم الخيانات وقد نهى الله تعالى عن موالاة الكفار، قال تعالى:{لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ }[2]، " ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر"[3].

المطلب الثالث: خيانة النفس والجوارح:

ومن خيانة النفس بالمعصية قوله تعالى في البقرة:{ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ }[4]، أورد البخاري ت٢٥٦هـ في صحيحه في سبب نزول هذه الآية، عن البراء رضي

(١) سورة الأنفال، آية ٢٧

(٢) سورة آل عمران، آية ٢٨

(٣) الطبري، **جامع البيان**، (٢٢٨/٣). وانظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر – بيروت، (طبعة سنة ١٤٠١هـ)، (٣٥٨/١). السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، (ص١٢٧).

(٤) سورة البقرة، آية ١٨٧

الله عنه: " لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كلّه، وكان رجال يختانون أنفسهم، فأنزل الله { عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ }"[(١)]، فالخيانة هنا معناها: " تختانون أنفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم، ومن عصى الله فقد خان نفسه؛ إذ جلب إليها العقاب"[(٢)].

وفي حم المؤمن:{ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ}[(٣)]"يعني الغمزة فيما لا يحل بعينه، والنظرة في المعصية"[(٤)].

وفي سورة النساء أيضا جاء النهي عن المدافعة والمجادلة عن الذين يختانون أنفسهم بالمعاصي والذنوب، قال تعالى:{وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}[(٥)]، فمعنى {يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ}: يظلمونها باكتساب المعاصي، وارتكاب الآثام"[(٦)].

المطلب الرابع: نقض العهد :

ومن المعاصي والآثام التي سماها الله تعالى " خيانة "، نقض العهد، ومنه قوله تعالى في المائدة: {فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ }[(٧)]، والكلام عن اليهود، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٖ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، ت ٢٥٦هـ، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، (ط١٤٠٧/٣هـ)، كتاب: تفسير القرآن، باب: { أحل لكم ليلة الصيام ... }، حديث: ٤٢٣٨، (١٦٣٩/٤).

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ، (٣١٥/٢).

(٣) سورة غافر، آية ١٩

(٤) مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، ت١٥٠هـ، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١٤٢٤/١هـ)، (١٤٦/٣).

(٥) سورة النساء، آية ١٠٧

(٦) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، ت ١٢٧٠هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (١٤١/٥).

(٧) سورة المائدة، آية ١٣

لَا تُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ }[1]. خيانة: أي: " نقضا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود "[2]، وكانت خيانتهم نقضهم العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيوم الأحزاب، وغير ذلك من همّهم بقتله وسبّه"[3].

المطلب الخامس: الاعتداء على أمانات الناس:

ومن صور المعاصي، والتي وسم القرآن الكريم صاحبها بالخيانة، الاعتداء على أمانات الناس التي يأتمنون غيرهم عليها، وفي ذلك يقول تعالى في سورة النساء: {وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا}[4].ذُكِر أنها نزلت في طعمة بن أبيرق، كان عنده درع فخانها[5]، ومنه عموم قوله تعالى:{ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ}[6].

المطلب السادس: خيانة العِرض:

ومن المعاصي والذنوب والتي وصفها الله تعالى بوصف الخيانة، خيانة العِرض، والمقصود بخيانة العِرض: انتهاك الأعراض بالزنا، أو القذف، واستخدام الفرْج في غير ما أحل الله تعالى، هذا بشكل عام، ويدخل في ذلك خصوصية خيانة رباط الزوجية، الذي سماه الله تعالى: ميثاقا غليظا، في قوله تعالى:{ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظٗا }[7].

والفرْج من الأمانات التي أمر الله تعالى بحفظها؛ قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ}[8]،

---

(١) سورة الأنفال، آية ٥٨

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٢١/٢). وانظر: الواحدي، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (٤٤٥/١).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١١٦/٦).

(٤) سورة النساء، آية ١٠٥

(٥) انظر: ص١٦٢

(٦) سورة الأنفال، آية ٢٧

(٧) سورة النساء، آية ٢١

(٨) سورة المؤمنون، آية ٥

فعدم حفظ الفرج هو خيانة للعرض، وقد سماه الله تعالى خيانة في قوله تعالى: { وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ }[1]، ونقل بعض أهل التفسير القول بأن معنى الآية، أن الله لا يصلح، ولا يصوّب عمل الزناة[2]، وفي الآية تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانة زوجها بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه[3].

وفي نهاية هذا المبحث، يتبين أن للخيانة صوراً وأنواعاً، تتعدد في مسمياتها وتلتقي في مضمونها وجوهرها، فخيانة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو خيانة الدين، تشمل جميع أنواع وصور الخيانة، فالدين نهى عن خيانة العِرض، ونهى عن خيانة الأرض والمقدسات والأمة، ونهى عن استخدام الجوارح في الخيانة، وإن المسلم الذي ينتسب للإسلام انتسابا، وليس له من الإسلام إلا الاسم، فلا يؤدي ما كلفه الله تعالى به، وما افترضه عليه، من العبادات كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها، ولا يأتمر بأمر الله في المعاملات، كالصدق، والوفاء بالعهود، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وغير ذلك، ويقع في ما حرم الله عليه، فتجده يمشي بالنميمة، ويغتاب الناس، ويسرق، ويزني، ويشرب الخمر، هو كذلك خائن للدين، والعياذ بالله.

---

(١) سورة يوسف، آية ٥٢

(٢) انظر: ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت٣٩٩هـ، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة وغيره، دار الفاروق الحديثة– القاهرة، (ط١/١٤٢٣)، (٣٣٠/٢). ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ ، **زاد المسير في علم التفسير**، دار المكتب الإسلامي– بيروت، (ط٣/١٤٠٤) ، (٢٤٠/٤).

(٣) انظر: النسفي، عمر بن محمد بن إسماعيل، ت ٥٣٧هـ، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر)، (١٩٣/٢). الزمخشري، **الكشاف**، (٤٥٢/٢). البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت ٦٨٥هـ، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٩٤/٣). الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت ١٢٥٠هـ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٣٤/٣).

المبحث الثالث: نظائر الخيانة في القرآن الكريم

النظائر: " جمع نظيرة، وهي المِثْل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال"[١]، والمراد هنا: الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، والتي تشبه في المعنى لفظة الخيانة، وهي: المكر، والكيد، والتجسس، والخداع، والنفاق، وبيان وجه الشبه والعلاقة بينها وبين لفظة الخيانة:

المطلب الأول: المكر:

يدور معنى المكر في اللغة على: الاحتيال والخديعة، جاء في لسان العرب: " المكر احتيال في خفية"[٢].

أما في الاصطلاح فهو: " صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: محمود، وهو: أن يتحرى به فعل جميل، ومذموم وهو: أن يتحرى به فعل قبيح"[٣].

فالمكر: " الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر، ليورطه الماكر به مكروها من الأمر"[٤].

ولا بد هنا من التفريق بين المكر المذموم من فعل الناس، والمكر الذي وصف الله تعالى به نفسه، وقد فرق ابن القيم ت٧٥١هـ رحمه الله بين المكرين، فقال: " وأما المكر الذي وصف الله به نفسه، فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء؛ لأنه عدل ومجازاة، وكذلك المخادعة منه جزاء على مخادعة رسله وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة والمكر"[٥].

ومن هنا فليس كل مكر خيانة، فهناك مكر حسن، في حين الخيانة كلها شر وأذى، وليس هناك خيانة حسنة، ولا يطلق لفظ الخيانة إلا على كل فعل قبيح.

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (٢١٩/٥).

(٢) المرجع السابق، (١٨٣/٥).

(٣) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص٦٧٣).

(٤) الطبري، **جامع البيان**، (٢٥/٨).

(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، ت٧٥١هـ، **الفوائد**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط٢/١٣٩٣هـ)، (ص١٦٣).

ويلاحظ اشتراك المكر والخيانة في الاحتيال في الخفاء، فكما أن المكر احتيال في خفية، فكذا جاء" استعمال الخيانة فيما خفي عن المخون"[(١)].

وقد وردت مادة (م ك ر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وأربعين موضعا، وذلك في ثلاث وعشرين آية[(٢)]، وكان ورودها في أربع عشرة سورة من سور القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:{ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[(٣)]، وورودها في هذه الأربع عشرة سورة فيه دلالة واضحة على المساحة الكبيرة التي خصصها القرآن الكريم لهذه اللفظة ومدلولاتها، مما يشير إلى الأهمية الكبيرة التي أولاها القرآن الكريم لهذا المعنى.

المطلب الثاني: الكيد:

يطلق الكيد في اللغة على الخبث والمكر، وعلى التدبير بباطل أو حق[(٤)].

وعرفه الجرجاني ت٨١٦هـ بقوله: " إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخَلْق: الحِيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق"[(٥)]، وهو كما قال الرازي ت٦٠٦هـ: " فعل يسوء من نزل به، وإن حسن ممن صدر منه"[(٦)]، وعلى هذا فهناك فرق بين الكيد والخيانة، كما سبق الحديث عن الفرق بين المكر والخيانة . وقد قرن الله تعالى بين الكيد والخيانة في قوله تعالى: { ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ

---

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحران ، ت ٧٢٨هـ، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية(مجموع الفتاوى)**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي، مكتبة ابن تيمية، (ط٢/بدون سنة نشر)، (١٤/٤٤٠).

(٢) عبد الباقي، محمد فؤاد، ت١٣٨٨هـ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر – بيروت، (ط٢/١٤٠١هـ)، (ص٦٧٠-٦٧١).

(٣) سورة النمل، آية ٥٠

(٤) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٣/٣٨٤).

(٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ت ٨١٦ هـ، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط١/١٤٠٥هـ)، (ص٢٤١).

(٦) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ت ٦٠٦هـ، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١/١٤٢١هـ)، (٢٨/٢٣٤).

أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ}[1]، والمراد بالكيد: أي كيدها بيوسف عليه السلام، وبالخيانة: أي خيانتها لزوجها [2]، وذكر البيضاوي ت٧٧١هـ أن المعنى: " لا يهدي الخائنين بكيدهم، فأوقع الفعل على الكيد مبالغة "[3]، وفي القرن بين اللفظين دلالة على التقارب في المعنى بينهما.

ووردت مادة (ك ي د) في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية[4]، في ست عشرة سورة، في خمسة وثلاثين موضعاً، منها قوله تعالى:{ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا }[5]، وفي ذلك دلالة أخرى على اعتناء القرآن الكريم بمعالجة هذه الظاهرة والتأكيد على خطورتها.

المطلب الثالث: التجسس:

يطلق التجسس في اللغة على البحث والتفتيش وطلب الأخبار وتلمسها[6]

وفي الاصطلاح: " جس الأخبار وتجسسها: تتبّعها ، ومنه الجاسوس؛ لأنه يتتبع الأخبار، ويفحص عن بواطن الأمور"[7].

وعلى هذا فالتجسس لفظ عام يستخدم في الخير وفي الشر؛ فإن كان التجسس لتتبع أخبار الأعداء لمصلحة المسلمين، فلا شك في أن هذا التجسس مطلوب، بخلاف التجسس على عورات المسلمين الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى وذلك في معرض تربية المؤمنين على الأخلاق والقيم الإيمانية،: { وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا }[8]، ومن هنا يشترك التجسس في معناه مع

---

(١) سورة يوسف، آية ٥٢

(٢) انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، (٣٤/٣).

(٣) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٢٩٤/٣).

(٤) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص٦٤٢).

(٥) سورة الطارق، آية ١٥- ١٦

(٦) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (٣٨/٦).

(٧) انظر: المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص٢٤٤).

(٨) سورة الحجرات، آية ١٢

الخيانة في جانبه المذموم، ويفترق معه في جانبه المحمود، فليس كل تجسس خيانة، وإن كان التجسس المذموم من أفعال الخائنين.

المطلب الرابع: الخداع:

الخدع في اللغة: " إظهار خلاف ما تخفيه ... وخدعه: أي أراد به المكروه وختله "[١]."

وأخدعت الشيء: أخفيته، ومنه المخدع: وهي الخزانة، والأخدعان: العرقان في العنق لخفائهما"[٢].

وفي الاصطلاح: الخداع: " إنزال الغير عما هو بصدده، بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه"[٣]، ومعنى ما سبق: إرادة الشر والمكروه بحيلة خفية ظاهرها الخير.

وهذا الذي يشترك فيه الخداع مع الخيانة، فهو مكر في الخفاء، وهو كذلك إرادة الشر والمكروه بالغير. ويفترق مع الخيانة في كونه يحمل وجها إيجابيا، وهو مخادعة الأعداء في الحرب، ودليله ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: [الحرب خدعة][٤]، وقد نسب الله تعالى الخداع لنفسه، فقال تعالى:{ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ }[٥]، " والخداع من الله: مجازاتهم على خداعهم أولياءه ورسله"[٦].

وقد وردت مادة (خ د ع) في القرآن الكريم في خمسة مواضع، في ثلاث سور، في ثلاث آيات[٧]، كقوله تعالى:{ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ }[٨].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، (٦٣/٨)، ويراجع النص كاملاً في نفس الصفحة.

(٢) السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، ت ٥١٤هـ، **الأفعال**، عالم الكتب – بيروت، (ط١/١٤٠٣هـ)، (١/ ٢٨٦).

(٣) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص٣٠٩).

(٤) البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحرب خدعة، حديث: ٢٨٦٦، (١١٠٢/٣).

(٥) سورة النساء، آية ١٤٢

(٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٤٢٢/٥).

(٧) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص٢٢٧).

(٨) سورة البقرة، آية ٩

المطلب الخامس: النفاق:

النفاق في اللغة:" يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا، وهو مأخوذ من النَّافَقاء[١]، لا من النفق: وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره"[٢].

وفي الاصطلاح:" إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"[٣].

قال الراغب ت٣٦٩هـ مقارنا بين الخيانة والنفاق:" الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة "[٤]، وتشترك الخيانة مع النفاق أيضا في الاستتار، فالخائن يغدر سراً في الغالب، وكذا المنافق الذي يستر كفره، والنفاق بهذا المعنى، هو النفاق الأكبر المتعلق بالعقيدة لا بالعمل فحسب، وهو لا شك الصورة الأعظم من صور خيانة الدين، وقد ورد الربط بين الخيانة والنفاق جليا في تفسير الطبري رحمه الله لقوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ }[٥] فقال: " وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة، وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن .. "[٦].

وقد ورد لفظ النفاق وتصريفاته في القرآن الكريم في تسع وعشرين آية[٧]، في إحدى عشرة سورة، في ستة وثلاثين موضعاً، كقوله تعالى: { ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ }[٨]، "

---

(١) النافقاء: " إحدى جحرة اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها ". مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر)، (٩٤٢/٢).

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، (٣٥٩/١٠).

(٣) الجرجاني، **التعريفات**، (٣١١/١).

(٤) الراغب، الحسين بن محمد، ت ٣٦٩هـ، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (ص١٦٣).

(٥) سورة الأنفال، آية ٢٧

(٦) الطبري، **جامع البيان**، (٢٢١/٩)، انظر النص كاملاً في نفس الصحة.

(٧) عبد الباقي، **المعجم المفهرس**، (ص٧١٦- ٧١٧).

(٨) سورة التوبة، آية ٦٧

أي هم كالشيء الواحد في الخروج عن الدين"[(١)]. والسور التي ورد فيها لفظ النفاق سور مدنية، باستثناء سورة العنكبوت؛ وذلك لأن النفاق بمعناه المذكور لم يكن قد ظهر إلا في العهد المدني.

وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تحدثت عن النفاق والمنافقين بدون ذكر اللفظ، مثل آيات سورة البقرة (٨-١٨)، وغيرها، ومن الملاحظ أن مساحة كبيرة أعطيت في كتاب الله تعالى لمعالجة ظاهرة النفاق، حتى إن سورة من سور القرآن الكريم سميت باسمهم، وليس معنى هذا أن ما لم يتوسع القرآن الكريم في ذكره يعني عدم أهميته، ولكن تركيز القرآن الكريم على موضوع النفاق فيه إشارة إلى عظم خطورة هذه الظاهرة؛ فهي موجهة تحديداً للمجتمع المسلم؛ بقصد هدمه وتخريبه.

ومن الملاحظ في نهاية هذا المبحث الارتباط الكبير بين مفهوم الخيانة ونظائره، فجميع هذه المفاهيم تشترك في معنى إضمار الشر بقصد إيقاع الضرر، كما أن الخائن يستتر بالخفاء لإيقاع الضرر بالآخرين، فكذلك يفعل الماكر والكائد والجاسوس والخادع والمنافق.

فالخيانة تتضمن جميع معاني المكر والخداع والكذب والتزوير والتجسس وتزييف الحق وكشف عورات المسلمين وتتبعها، كل ذلك بالغدر والسر والنفاق والخفاء، بغرض إيجاد الطمأنينة والثقة والأمان عند المغدور، ثم طعنه من الخلف.

المبحث الرابع: مقاصد القرآن الكريم من ذكر نماذج الخيانة

لقد مر بنا كيف استخدم القرآن الكريم لفظ الخيانة، وتبين لنا من خلال عرض هذا المفهوم في السياق القرآني أن هناك أنواعاً للخيانة؛ تمثلت في خيانة الدين، وخيانة الأمة، وخيانة العِرض، وخيانة النفس والجوارح.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أسهب القرآن الكريم في التأكيد على خطورة هذا الخلق الذميم، وعرض لنا نماذجَ تطبيقية للخيانة؛ للوقوف على مقاصد التشريع من أجل أن يكون هذا المفهوم جلياً بادياً للعيان؛ ومن أجل كشف اللثام عن هذا الفعل وممارسيه في كل زمان ومكان؛ ومن أجل

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (١٩٩/٨).

أخذ العبرة والعظة من عاقبة الخائنين، وتحذير الأمة من الوقوع في مثل أفعالهم، وقد عرض لنا القرآن الكريم أربعة نماذج للخيانة؛ يمكن إيجازها بالمطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول: خيانة أهل الكتاب:

خصّ القرآن الكريم أهل الكتاب بهذه الصفات والأفعال، فكثيرة هي الآيات التي تحدثت عن مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وخيانتهم العهودَ والمواثيق، وخيانتهم الدينَ، بالتحريف والتبديل، وغير ذلك من صور الخيانة التي تمرَّس عليها اليهود والنصارى، وقد كان الواقع الذي يحياه المسلمون شاهدا عمليا على الأفعال الخيانية لهؤلاء؛ ولذلك حذر الله تعالى من الاغترار بهم،أو الركون إليهم، أو الاطمئنان لهم، أو الوثوق بمعاهداتهم، أو اتباعهم فيما يقولون ويفعلون، كما يفعل المنتسبون إلى الإسلام من أهل الخيانة.

قال عليه الصلاة والسلام: " لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن قبْلَكُم شِبْراً بِشِبْرٍ وذراعاً بِذراعٍ، حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهودَ والنصارَى؟ قال: فَمَنْ؟"[(١)].

وأول ما يجدر الحديث عنه ما وصفهم الله تعالى به من نقض العهود والمواثيق، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ }[(٢)].

ونقض العهود من خصائص أهل الكتاب ، وأهل التفسير على أن هذه الآية في أهل الكتاب[(٣)] ،

وقيل: هذه الآية في اليهود خاصة[(٤)]، فقد ورد عن مجاهد ت١١٠٣هـ: " وهم بنو قريظة، مالؤوا

(١) البخاري، **الجامع الصحيح المختصر**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٢٦٩، (١٢٧٤/٣).

(٢) سورة الأنفال، آية ٥٦

(٣) انظر: االطبري، **جامع البيان**، (٢٥/١٠). البغوي، **معالم التنزيل**، (٢٥٧/٢). البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (١١٦/٣). الشوكاني، **فتح القدير**، (٣١٩/٢).

(٤) انظر: الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت٤٢٧هـ، **الكشف والبيان**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (ط١/ ١٤٢٢ هـ)، (٢٤٢/١).

على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يوم الخندق"[١]، وليس نقض العهد مع غيرهم عملهم الخياني الوحيد؛ فلقد خانوا دينهم بالتحريف والتبديل أيضاً، قال تعالى:{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}[٢].

ولا عجب في ذلك، فإن الله تعالى قد أخذ الميثاق على أسلافهم بطاعة أنبيائهم، وقتال أعدائهم، ووعدهم النصر والتمكين، وأراهم من الآيات والعبر ما تهتز له الجبال، وبعد أن أَعطوا ميثاقهم وعهودهم، نقضوا وغيروا وبدلوا ونكصوا على أعقابهم، وخالفوا أنبياءهم، فإذا كان هذا الفعل من خيارهم، فكيف يُستنكر مثله من أراذلهم[٣] في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بل كيف يستغرب ذلك من أرذل أراذلهم اليوم؟

يقول سيد قطب ت١٣٨٦هـ -رحمه الله- في وصف طبيعة اليهود الخيانية: " فهذه سمات يهود التي لا تفارقهم، ... فهم لا يكفون عن محاولة خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت لهم مواقف خيانة متواترة، ... وما تزال هذه حالهم في المجتمع الإسلامي على مدار التاريخ، على الرغم من أن المجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي آواهم، ورفع عنهم الاضطهاد، وعاملهم بالحسنى، ومكّن لهم من الحياة الرغيدة فيه، ولكنهم كانوا دائما—كما كانوا على عهد الرسول— عقارب وحيات وثعالب وذئاباً تضمر المكر والخيانة"[٤].

---

(١) مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي التابعي، ت١٠٣هـ، **تفسير مجاهد**، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر السورتي، دار المنشورات العلمية – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٦٦/١).

(٢) سورة المائدة، آية ١٣

(٣) انظر: الطبري، **جامع البيان**، (١٥٣/٦- ١٥٤).

(٤) قطب، سيد، ت ١٣٨٦هـ، **في ظلال القرآن**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط٥/١٣٨٦هـ)، (٦٧٧/٦- ٦٧٨)، انظر النص كاملاً في الصفحتين المشار إليهما.

المطلب الثاني : خيانة امرأة العزيز:

هذا نموذج آخر مختلف للخيانة، إنها خيانة الميثاق الغليظ، خيانة رباط الزوجية، أو خيانة العِرض، وقد جسده الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، قال تعالى: {وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ }[1].

هذا وصف لخيانة امرأة العزيز لزوجها بمراودة يوسف عليه السلام عن نفسه، " ولكن نفس يوسف العفيفة عليه السلام تأبى عليه أن يقع في الفاحشة، وأن يخون الأمانة، وتأبى عليه أيضاً أن يسيء لمن أحسن إليه، ورباه في بيته. روى الطبري ت٣١٠هـ عن ابن اسحاق قال: " وقوله: (أَحْسَنَ مَثْوَايَ)، يقول: أحسن منزلتي، وأكرمني، وأتمنني، فلا أخونه"[2]؛ ولذلك صرف الله تعالى عنه الخيانة والمكر، قال الله تعالى عنه: {كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ }[3].والسوء الذي صرف الله تعالى عنه يوسف عليه السلام هو: خيانة العزيز في عرضه[4]. فهي عندما رأت زوجها، بادرت باتهام يوسف عليه السلام: " إنه راودني عن نفسي، فدفعْتُه عن نفسي ، فشقَّقْتُ قميصه"[5].

هذه المبادرة بإلقاء التهمة على الأبرياء، هي دأب الخائنين، ووسيلتهم في الخروج من دائرة الاتهام، إنها خيانة فوق خيانة، وجُرم فوق جرم، فهي هنا لم تكتف بفعلها الخياني لزوجها وعِرضها، بل أضافت إليه جرما آخر، وخيانة أخرى، باتهامها يوسف العفيف الشريف النظيف البريء بمحاولة

---

(١) سورة يوسف، الآية ٢٣

(٢) الطبري، **جامع البيان**، (١٨٢/١٢).

(٣) سورة يوسف، آية ٢٤

(٤) انظر: أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت ٩٨٢هـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، المعروف بتفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٦٧/٤).

(٥) الطبري، **جامع البيان**، (١٩٢/١٢).

فعل الفاحشة بها، ولكن الله تعالى أشهر الحق، وفضح المستور، وكشف المؤامرة، وذلك عن طريق أحد أقاربها.

وبعد هذه الأحداث الجسام، تُختم القصة باعتراف امرأة العزيز بفعلتها، وبيان خطورة الخيانة. قال تعالى: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ}[1].

وهكذا يعلن يوسف عليه السلام براءته على الملأ: (ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ):" أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة ... فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها ... (لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ): أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه ... وفيه تعريض بامرأته في خيانتها أمانته، ... ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته، وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عاقبته"[2].

وبعد هذا الاستعراض لأحداث هذه الخيانة الفظيعة، والتي تمثل نموذجا لخيانة العرض، يظهر بوضوح الأثر الخطير والبالغ لهذه الخيانة على الأسرة والمجتمع، وهو نموذج تأكّد من خلاله انعدام الضوابط والقيم وانحطاط الخلق عند أهل الخيانة، كما تأكد تحقق سنة الله تعالى في فضح الخائنين، وفي هذا النموذج القرآني دروس وعبر تبين الحكمة العظيمة في تشريعات الإسلام، خاصة فيما يتعلق بضوابط الاختلاط، وتحريم الخلوة، وستر واحتشام المرأة في لباسها وعدم إظهار الزينة للأجانب، وفيها كذلك دروس في القضاء وعدم التسرع في إصدار الأحكام التي مآلها ظلم الأبرياء

(١) سورة يوسف، آية ٥١- ٥٢

(٢) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢٨٥/٤)، انظر النص كاملاً في نفس الصفحة.

وتبرئة المجرمين، وفيه دلالة أيضا على طبيعة التربية القيمية والأخلاقية عند طبقات المترفين والحكام ومقاييسهم للحكم على الأشياء.

المطلب الثالث: خيانة إخوة يوسف (عليه السلام):

هذا نموذج آخر للخيانة، خيانة أمانة الأخوَّة، وهو ما تمثله قصة يوسف عليه السلام أيضاً، ولكن هذه المرة مع إخوته الذين خانوه، متناسين رابطة الأخوة التي تجمعهم به، ضاربين بعرض الحائط ما أعطوه لوالدهم من المواثيق المغلظة على حفظ أخيهم والمحافظة عليه، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾[1].

ففي هذه القصة تعليم وتعريف بفعل من أفعال الخيانة والغدر؛ من أجل أن نأخذ الدروس والعبر؛ ولذلك جاء افتتاح هذه القصة بقوله تعالى: (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ)، " وهذا الافتتاح كفيل بتحريك الانتباه والاهتمام، لذلك نشبهه بحركة رفع الستار عما يدور وراءه من أحداث وحركات، فنحن نرى وراءه مباشرة مشهد إخوة يوسف يدبرون ليوسف ما يدبرون"[2].

ثم كان قرارهم: (ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا)، " وهما قريب من قريب؛ فطرحه في أرض نائية مقطوعة مفض في الغالب إلى الموت"[3]، والحقيقة أن الذي فعله إخوة يوسف عليه السلام ليس جريمة واحدة فحسب، بل جرائم مركبة " منها: قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الطريح، الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد بالحفظ، والكذب الذي عزموا عليه مع أبيهم"[4].

---

(١) سورة يوسف، الآيات ٧-٩

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، (٦٩٨/١٢).

(٣) المرجع السابق، (٦٩٩/١٢).

(٤) السمعاني، **تفسير القرآن العزيز**، (١٠/٣).

{وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ}[١]. إن الجهد الذي بذله الإخوة في تزوير الحقيقة، والادعاء الكاذب بأكل الذئب أخاهم، وتأليفهم هذه الحكاية، وإحضارهم الدليل العيني الشاهد على ادعائهم، (القميص الملطخ بالدم)، وما قدموه من تأكيدات على صدقهم، ورغم كل تلك المحاولات- وهذا حال الكاذبين الخائنين في كل زمان ومكان- فلا بد في النهاية من افتضاح أمرهم، وانكشاف تآمرهم، وبيان كذبهم وتزويرهم، وهذه سنة من الله تعالى لا تتخلف أبدا، ومن سَتَرَ الله خيانته في الدنيا، فهو مفضوح لا شك، أمام الخلائق يوم القيامة.

وقد انتهى الأمر بيوسف عليه السلام إلى قافلة مرت بالمكان، فأخذوه وباعوه، واشتراه ملك مصر، وانتهى به المقام عنده بأن أصبح وزيراً، له الحظوة والمكانة، والسيادة والحكم، وأقر الله تعالى عيون والديه به،وأَسْجَدَ له إخوته، بعد أن أقروا بذنبهم، وفعلتهم، وتحققت رؤياه التي كان قد قصها على أبيه من قبل، وهكذا تكون عاقبة المتقين، وهكذا يكون حفظ الله تعالى لأوليائه وعباده المتقين، وفي المقابل هكذا يكون مآل الخيانة والغدر: الذلة والصغار، والندم والحسرة، والفضيحة والتشهير.

هذه القصة من قصص الخيانة في القرآن الكريم تكشف عن نفسيات أهل الخيانة، ومدى خطورة أفعالهم، وبشاعة جرائمهم، فهم لا يعرفون الرحمة والشفقة والعطف، ولأبسط الأسباب وأتفهها يصل بهم الأمر إلى ارتكاب أبشع الجرائم وأفظعها، وهم لا يحتاجون المسوّغ لارتكاب أفعالهم، وقلوبهم مليئة بالغيظ والحقد والحسد، ثم في النهاية يحاولون تزوير الحقائق وقلب الأمور والظهور بمظهر البريء من كل جرم، ولكن الله تعالى يمكر للمؤمنين ويبطل كيد الخائنين، ويحمي أولياءه من مكر الماكرين{ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ }[٢].

وفي المقابل لا بد من الحرص على عدم إعطاء المسوّغ لأصحاب النفوس المريضة لارتكاب أفعالهم، وهو ما تشير إليه الآيات من الحظوة التي كانت ليوسف وأخيه عند والدهم، والتي أوقدت

(١) سورة يوسف، آية ١٨

(٢) سورة يوسف، آية ٦٤

نار الحقد والغيرة عند باقي الإخوة، ودفعتهم لارتكاب جريمتهم، ففيها إشارة تربوية لكل أب وأم لضرورة مراعاة العدل في معاملة الأبناء.

وأخيرا نأخذ من خاتمة هذه القصة نموذجاً فريداً في المسامحة والصفح والتعالي على الجراح من قبل يوسف عليه السلام، وكيف يمكن أن يكون لهذا الخلق من أثر بالغ في نفوس الخائنين تردعهم من التمادي وتدفع نفوسهم للتوبة، وليست هذه قاعدة تناسب كل حالة، وإنما لكل حالة ما يناسبها.

المطلب الرابع: خيانة امرأتي نوح و لوط عليهما السلام:

هنا نموذج آخر من نماذج الخيانة، إنها خيانة الدين، وذلك بمخالفة الأنبياء وتعاليم السماء التي جاؤوا بها، وهذا ما كان من امرأتي النبيين الكريمين نوح ولوط عليهما السلام، وقد ذكر الله تعالى فعلتيهما، وسماها خيانة، وضربها مثلا فقال تعالى:{ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ }[1].

ذكر أهل التأويل في معنى الخيانة التي وُصِفَت بها زوجتي نوح ولوط عليهما السلام أقوالاً عديدة منها: أن خيانتهما كانت بالكفر، أي في مخالفتهما للنبيين الكريمين في الدين إذ كانتا مشركتين، وقيل: كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه، وقيل: كانت امرأة نوح عليه السلام تطلع الكفار على أسراره، فإذا آمن مع نوح عليه السلام أحد أخبرت الجبابرة بذلك، وقيل: كانتا منافقتين، وقيل: خيانتهما النميمة، إذا أوحى الله إليهما شيئا أفشتاه إلى المشركين، وقيل: كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخَّنت؛ لتُعلم قومها أنه قد نزل به ضيف؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال[2].

---

(1) سورة التحريم، آية ١٠

(2) انظر: الطبري، جامع البيان، (١٧٠/٢٨). الرازي، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٣٦٢/١٠). الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ت٤٥٠هـ، **النكت والعيون، المعروف بتفسير الماوردي**، راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٦/ ٤٦ – ٤٧). القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠٢/١٨).

والإجماع قائم بين علماء التفسير[١] على أنه لا يُقصَد بخيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام خيانة العرض؛ فلم تزن امرأة نبي قط، وإنما هي خيانة الدين؛ وذلك لأن تصور خيانتهما على أنها خيانة في العرض يُنَفِّر من صاحب الرسالة، ويَنسب إليه النقص، وهو ما يتعارض مع أداء الرسول وتبليغه رسالة ربه، وبغض النظر عن كيفية هذه الخيانة فهي خيانة في الدين، فهما لم تؤمنا، فكانت عاقبتهما الهلاك.

وقد صورت الآية الكريمة نتيجة هذه الخيانة، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، أي لم يدفع نوح ولوط– مع كرامتهما على الله تعالى– عن زوجتيهما لما خانتا، شيئا من عذاب الله؛ تنبيها بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة، فالله تعالى ضرب لنا هذا المثل؛ تنبيها على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب، إذا فرَّق بينهما الدين[٢].

ومن هنا يأتي الدرس البليغ، والعبرة العظيمة من خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام؛ وذلك بأن الرابطة هي رابطة العقيدة والإيمان، وأن كل الروابط ما عدا هذه الرابطة لا قيمة لها من غير هذه الرابطة، ولا تفيد صاحبها عند الله شيئا، فإذا اختلّت رابطة العقيدة فلا رابطة، وإذا حدثت الخيانة في الدين فيجب عندئذ البراءة من الخائنين مهما كانت درجة الصلة والقرابة والرابطة، وهو ما نتعلمه أيضا وفي ذات السياق من قصة نوح عليه السلام مع ولده الكافر، وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع عمه وقومه، وكذلك فعل الصحابة الكرام.

---

(١) انظر: الماوردي، **النكت والعيون**، (٤٦/٦). ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله، ت ٥٤٣هـ، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر – لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر)، (٢٠٨/١). القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠٢/١٨). أبا حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ت ٧٤٥هـ، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية – لبنان، (ط١/١٤٢٢هـ)، (٢٨٩/٨). الشوكاني، **فتح القدير**، (٢٥٥/٥).

(٢) انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠٢/١٨).

وختاما لهذا المبحث لا بد من الإشارة إلى أن هذه النماذج الخيانية التي ذكرها القرآن الكريم لا تزال ماثلة في أيامنا، وهي موجودة في كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأهل الكتاب لا يزالون على خيانتهم التي وصفهم الله تعالى بها، ولا يزال هناك من يمارس خيانة العِرض التي وقعت فيها امرأة العزيز من قبل، وهناك من يخون عشيرته وأهله وأمته كما فعل إخوة يوسف- عليه السلام، وهناك من يقع في الخيانة العظمى وهي خيانة الدين بالكفر، باعتقادات وأفعال وأقوال تؤدي به إلى سلوك طريق الهالكين من أهل الخيانة والغدر، كما كان من امرأتي نوح ولوط-عليهما السلام، ومن هنا تبرز أهمية إيراد هذه النماذج.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات:

فالحمد لله سبحانه على ما منّ به من إعانة وتوفيق في إتمام هذا العمل، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، **والتي هي مقاصد قرآنية ربانية، اجتهد الباحثون في تجليتها**، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. أكد القرآن الكريم على خطورة ظاهرة الخيانة، من خلال حشد عددً كبير من الآيات القرآنية، التي ذكر فيها مصطلح الخيانة، ونظائرها، كالكيد والمكر والتجسس والخداع والنفاق، وكانت في معظمها آيات مدنية؛ خاصة تلك التي عالجت موضوع ، النفاق تلك الظاهرة التي نشأت في المجتمع الإسلامي.
٢. الأمانة الكبرى هي أمانة الدين، وهي تشمل غيرها من أنواع الأمانات، وخيانتها تكون بالخروج عن التكاليف الشرعية التي كتبها الله على عباده.
٣. الأمانة بمعناها الواسع تشمل كل ما اؤتمن عليه الإنسان، من أمانة التكاليف الشرعية، وأمانة الوطن والمقدسات، وأمانة العهد والميثاق، وأمانة الودائع والأموال، وأمانة العرض ورابطة الزوجية، وأمانة النفس والجوارح، وغير ذلك من الأمانات التي يطالب المسلم بأدائها، ويحرم عليه خيانتها.

٤. التآمر على مقدرات المسلمين ومصالحهم وأرضهم ومقدساتهم، والتلاعب بأمنهم وأرواحهم وأرزاقهم، وتقديم المساعدة لأعدائهم؛ للإضرار بهم، كل ذلك خيانة للأمة.

٥. انتهاك الأعراض بالزنا، أو القذف، أو حتى النظرة المحرمة، هو خيانة للعرض.

٦. جوارح الإنسان أمانة عنده، فمن استخدمها في الحرام، وفي أذى المسلمين، فقد خانها، وستشهد عليه يوم القيامة.

٧. النفاق كالكفر، نفاق دون نفاق: فالمتهمون بالنفاق ليسوا نوعا واحدا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق، وكذلك أهل الخيانة ليسوا بمستوىً واحد، فلا تعد خيانة (الدين والأمة) كخيانة العين بالنظرة المحرمة.

٨. من أبرز صفات الخائنين، التآمر والكيد بالخفاء، وتبييت الخيانة، وتدبير الشر بالسر والكتمان؛ خشية منهم في افتضاح أمرهم، وهم يحرصون على التستر بالكذب، وإظهار الموادعة.

٩. خص القرآن الكريم أهل الكتاب بالحديث عن خيانتهم لدينهم وللناس، ونقضهم العهود والمواثيق بعد توكيدها مع الله ومع عباده، وهو ما يؤكده تاريخهم مع أنبيائهم، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومع الناس إلى يومنا هذا.

١٠. لا يوجد معايير أخلاقية ولا إنسانية عند أهل الخيانة، ويتبدى ذلك واضحا في قصة خيانة إخوة يوسف عليه السلام لأخيهم وأبيهم.

١١. خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام، هي خيانتهما في الدين، إذ كفرتا ولم تتبعاهما، وليس المقصود خيانة العرض، فلم تزن امرأة نبي قط، وتصور خيانتهما على أنها خيانة العرض ينفر من صاحب الرسالة، وينسب إليه النقص.

ويوصي الباحثون بضرورة أن ينال موضوع البحث الاهتمام اللائق به كما حظي من عناية إلهية؛ وذلك بدراسة جوانب هذا الموضوع المهم، وذلك إفراد كل جانب بالبحث والتفصيل، من خلال الندوات والمقالات والأبحاث والرسائل العلمية، وضرورة الاهتمام بالربط بالواقع من خلال دراسات تطبيقية للموضوع؛ كالدراسات الاجتماعية التي تبين واقع الخيانة وآثاره الاجتماعية كخيانة العرض مثلاً، والدراسات السياسية التي تتحدث عن خيانة الأمة والأوطان، والدراسات الاقتصادية التي تتحدث عن الخيانة المالية في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وهكذا ....

والله ولي التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، ت٢٨١هـ، مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، دار مكتبة القرآن– القاهرة، (طبعة سنة ١٤١١هـ).

٢- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، ت٢٨١هـ، الورع، تحقيق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الدار السلفية– الكويت، (ط١/ ١٤٠٨هـ).

٣- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة وغيره، دار الفاروق الحديثة– القاهرة، (ط١/ ١٤٢٣).

٤- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ، ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (طبعة سنة ١٩٦٢م).

٥- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ، زاد المسير في علم التفسير، دار المكتب الإسلامي– بيروت، (ط٣/١٤٠٤).

٦- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة– بيروت، (ط١/١٤٠٤هـ).

٧- ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله، ت ٥٤٣هـ، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر– لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٨- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، ت ٧٥١هـ، الفوائد، دار الكتب العلمية– بيروت، (ط٢/١٣٩٣).

٩- ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨هـ، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد العاصمي، مكتبة ابن تيمية، (ط٢/بدون سنة نشر).

١٠- ابن عاشور،محمد الطاهر، ت ١٣٩٣هـ، التحرير والتنوير،الدار التونسية للنش،(طبعة سنة ١٩٧٢م).

١١- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر– بيروت، (طبعة سنة ١٤٠١هـ).

١٢- ابن منظور، محمد بن أبي العز مكرم بن علي، ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر– بيروت، (ط١/بدون سنة نشر).

١٣- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت ٩٨٢هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

١٤- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ت ٧٤٥هـ، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية– لبنان، (ط١/١٤٢٢هـ).

١٥- الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، ت ٧هـ، **ديوان الأعشى**، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

١٦- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، ت١٢٧٠هـ، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

١٧- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، ت ٢٥٦هـ ، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير – بيروت، (ط٣/١٤٠٧هـ).

١٨- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، ت٥١٦هـ، معالم التنزيل في التفسير، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

١٩- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت ٦٨٥هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر – بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٢٠- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت ٤٢٧هـ، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (ط١/١٤٢٢هـ).

٢١- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ت ٨١٦هـ، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي– بيروت، (ط١/١٤٠٥هـ).

٢٢- الرازي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ت ٣٢٧هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية– صيدا، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٢٣- الرازي، أبو القاسم تمام بن محمد، ت٤١٤هـ، الفوائد، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد– الرياض، (ط١/١٤١٢هـ).

٢٤- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ت ٦٠٦هـ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية– بيروت، (ط١/١٤٢١هـ).

٢٥- الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– لبنان، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٢٦- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، ت ١٣٠١هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر).

٢٧- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، ت٧٩٤ هـ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة– بيروت، (ط سنة ١٣٩١ هـ)

٢٨- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ، أساس البلاغة، دار الفكر– بيروت، (طبعة سنة ١٣٩٩هـ).

٢٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٣٠- السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، ت ٥١٤هـ، الأفعال، عالم الكتب، بيروت، (ط١/١٤٠٣هـ).

٣١- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة– بيروت، (طبعة سنة ١٤٢١هـ).

٣٢- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت ٤٨٧هـ، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغيره، دار الوطن– الرياض، (ط١/ ١٤١٨هـ).

٣٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت ١٢٥٠هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٣٤- الصالح، صبحي، ت١٤٠٦هـ، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين– بيروت، (ط١٧/١٩٨٨م).

٣٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ت٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر– بيروت، (طبعة سنة ١٤٠٥هـ).

٣٦- عبد الباقي، محمد فؤاد، ت١٣٨٨هـ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر– بيروت، (ط٢/١٤٠١هـ).

٣٧- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت ٦٣١هـ، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب القاهرة، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٣٨- قطب، سيد، ت ١٣٨٦هـ، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (ط٥/١٣٨٦هـ).

٣٩- الماوردي، أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ت٤٥٠هـ، النكت والعيون، المعروف بتفسير الماوردي، راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٤٠- مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي التابعي، ت ١٠٣هـ، تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر، دار المنشورات العلمية– بيروت، (بدون طبعة ولا سنة نشر).

٤١- مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر).

٤٢- مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، ت١٥٠هـ، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية– بيروت، (ط١/١٤٢٤هـ).

٤٣- المناوي، محمد عبد الرؤوف، ت ١٠٣١هـ، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر– بيروت، (ط١/١٤١٠هـ).

٤٤- النسفي، عمر بن محمد بن إسماعيل، ت ٥٣٧هـ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (بدون طبعة ولا سنة ولا بلد نشر).

٤٥- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، ت ٤٦٨هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم– دمشق، (ط١/١٤١٥هـ).